

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

---

١٠٦ - سورة قريش

---

مكية، وآيها أربع.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (لَا يَلْفِ قَرِيشٍ)

[٢] (إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)

[٣] (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ)

[٤] (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

« لَا يَلْفِ قَرِيشٌ \* إِيَّاهُمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ » قال ابن هشام: إيلاف قريش إلفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم. وكانت لهم خرجتان: خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف. قال: أخبرني أبو زيد الأنصاري أن العرب تقول: ألفت الشيء إلفاً، وآلفته إيلافاً، في معنى واحد وأنشدني لذي الرمة<sup>(١)</sup> :

من المؤلفات الرمل إدامه حرة شعاع الضحى في لونها يتوضّع

والإيلاف أيضاً أن يكون للإنسان ألف من الإبل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك، ويقال ألف فلان إيلافاً، قال السكيت بن زيد<sup>(٢)</sup> :

يعامٍ يقول له المؤلفو ن هذا المعيم لنا المرجل

(١) استشهد به في اللسان (ج ٩ ص ١٠) طبعة بيروت .

شعاع الضحى : بريق لونه . يتوضّع : يتبين .

(٢) العيم من العيمة ، وهي الشوق إلى اللبن . والمرجل : الذي تذهب إبله فيمشي على أرجله . يريد أن تلك السنة تجعل صاحب الألف من اللبن ، يعام إلى اللبن ويسعى ماشياً .

والمعنى العام الذى قل فيه اللين . والإيلاف أيضا أن يصير القوم ألفا ؛ يقال آلف القوم إيلافا . قال الكميت :

وَأَلْ مُزَيَّقِيَاءَ غَدَاةَ لَاقُوا      بنى سعد بن ضَبَّةَ مُؤَلِّفِينَا

والإيلاف أيضا أن يؤلف الشيء إلى الشيء ، فيألفه ويلزمه . يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا أن تصير ما دون الألف ألفا . يقال : آلفته إيلافا . انتهى . ولورود الإيلاف بهذه المعاني ، ظهر سر إبداله بالمقيد منه بعد إطلاقه . مع ما فى الإيهام ، ثم التفسير من التفخيم والتقرير . روى ابن جرير <sup>(١)</sup> عن عكرمة قال : كانت قريش قد ألفوا بصرى واليمن ، يختلفون إلى هذه فى الشتاء وإلى تلك فى الصيف . وعن ابن زيد قال : كنت لهم رحلتان : الصيف إلى الشام والشتاء إلى اليمن فى التجارة . إذا كان الشتاء امتنع الشام منهم لمكان البرد . وكانت رحلتهم فى الشتاء إلى اليمن . وعن ابن عباس قال : كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف . والأكثر على الأول . واللام فى قوله ( لإيلاف ) متعلق بقوله تعالى : « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ » أى فليعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين . ودخلت الفاء ، لما فى الكلام من معنى الشرط . إذ المعنى ، أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة . فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة . والبيت هو الكعبة المشرفة « الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ » أى جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين ذ ( من ) تعليلية . أى أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم أو بدلية « وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أى مما يخاف منه من لم يكن من أهل الحرم من الغارات والحروب والقتال والأمور التى كانت العرب يخاف بعضها من بعض . قال ابن زيد : كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضا . فأمنوا من ذلك لمكان الحرم وقرأ <sup>(٢)</sup> ( أَوْ لَمْ نُمَسِّكْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّيْ إِلَيْهِ نَمَرَاتٌ كُلَّ شَيْءٍ ) ونظيره أيضا قوله تعالى <sup>(٣)</sup> ( أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَمَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ) .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٠٧ من الجزء الثلاثين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

(٢) [ ٢٨ / القصص / ٥٧ ] . (٣) [ ٢٩ / العنكبوت / ٦٧ ] .

تنبيه :

زعم بعض الناس أن اللام في (لَا يَلْفٍ) متعلق بما قبله أي فجعلهم كمصف مأكول لإيلاف قريش . قال الشهاب : وعلى هذا لا بد من تأويله . والمعنى : أهلكتهم ولم يسلط على أهل حرمه ليبقوا على ما كانوا عليه . أو أهلك من قصدهم ليعتبر الناس ولا يجترأ عليهم أحد ، فيتم لهم الأمن في الإقامة والسفر ، أو هي لام العاقبة . انتهى .

ولا يخفى ما فيه من التكلف . ولذا قال ابن جرير<sup>(١)</sup> في رده : وأما القول الذي قاله من حكينا قوله أنه من صلة قوله (فَجَعَلَهُمْ كَمَصْفٍ مَّا كُولٍ) فإن ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون (لَا يَلْفٍ) بعض (أَلَمْ تَرَ) وأن لا تكون سورة منفصلة من (أَلَمْ تَرَ) وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامتان ، كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ، ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك . ولو كان قوله (لَا يَلْفٍ قُرَيْشٍ) من صلة قوله (فَجَعَلَهُمْ كَمَصْفٍ مَّا كُولٍ) لم تكن (أَلَمْ تَرَ) تامة حتى توصل بقوله (لَا يَلْفٍ قُرَيْشٍ) لأن الكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر الذي ذكر . انتهى .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٠٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .